البنى الخطاطية في الخطاب القرآني خطاطة القوة أنموذجا

أ.د. سعاد كريم خشيف م. م. صفية موسى عبود
كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة ذي قار كلية التمريض / جامعة ذي قار
SafiaM.Abood@utq.edu.iq

المُلخَّص:

يتمثّل الإنسان الوجود من حوله من خلال بنى ذهنية جدّ مجردة هي الخُطاطات التي تُمثل شبكة تصوّرية أو قوالب فكرية مجردّة تحدّد الإمساك الذهني بالعالم من حولنا, فهي بمثابة تصنيف مقولي للمعرفة الإنسانية يندرج في إطارها مجموعة من الأشياء والأفكار والسلوكيات المستخلصة من التجربة الجسدية الحسّيّة التي تنعكس بدورها على المعرفة اللغوية والاستعمال اللغوي. والخطاب القرآني خطاب تواصلي يسعى إلى بناء نظرة للعالم على أساس المنطق القرآني وفق القدرة الإدراكية للإنسان للعالم من حوله , يسعى هذا البحث إلى النظر من خلال المنظور المعرفي إلى العلاقة بين البنية الخُطاطية والمعنى من جهة وعلاقتها بإيديولوجية الخطاب القرآني من جهة أخرى التي تتجلَّى عن قوّة المطلق الغيبي في الوجود.

الكلمات المفتاحية: (البنى الخطاطية، الخطاب القرآني، خطاطة القوة).

Calligraphic structures in the Qur'anic discourse The calligraphy of power as a model

T.A. Safia Moussa Abood Prof.Dr.suaad Kareem Kisheif
Thi- Qar University Thi- Qar University
College of Education for Humanities College of Nursing

Abstract:

Man represents the existence around him through very abstract mental structures are calligraphies that represent a conceptual network or abstract intellectual templates that determine the mental grip on the world around us, they serve as an anecdotal classification of human knowledge within which a set of objects, ideas and behaviors derived from physical sensory experience are included in which they are reflected in linguistic knowledge and linguistic use. The Qur'anic discourse is a communicative discourse that seeks to build a worldview based on Qur'anic logic according to the cognitive ability of man to the world around him, this research seeks to look through a cognitive perspective at the relationship between the calligraphy structure and meaning on the one hand and its relationship to the ideology of Qur'anic discourse on the other hand, which is manifested by the power of the unseen absolute in existence.

Keywords: (calligraphic structures, Quranic discourse, graphology of power).

أقام المعرفيون (العرفانيون) من لسانيين وعلماء الدلالة بناء نظرياتهم على مفهوم خُطاطة الصورة (image schema)[١], بعدِّها شبكة تصوّرية تنظّم النشاطات الجسديّة والمعارف الذهنية وتؤسس لضروب السلوك الإنساني , وتحكم الرؤية النفسيّة المنسجمّة مع الحياة والكون, أي أنَّ الأسس التجسيديّة لخطاطة الصورة هي التي تجعلنا نفهم العالم بصورة منتظمة . وقد استلهم المعرفيون هذا المفهوم من الجهاز الاصطلاحي للفيلسوف الألماني كانط الذي يعدُّ الخطاطة منتوجا من منتوجات المخيّلة يتوسط الحسيّة والفهم[٢], يرى كانط أنّ العقل يحتوي على ثلاث ملكات هي:

١- ملكة الحسّ: وهي التي تستقبل الانطباعات الحسيّة، وتقوم بتنظيمها بفضل صورتَي الزمان والمكان, فهاتان الصورتان عقليتان وليستا موجودتَين في العالم الخارجي.
٢- ملكة الخيال: وهي التي تطبق مقولات ملكة الفهم على الانطباعات الحسيّة المتموضعة في قالبَي الزمان والمكان.
٣- ملكة الفهم: وهي تنتج تصورات قبلية بشكل تلقائي، مثل تصور الجوهر والعلية والإضافة والتفاعل ونحو ذلك. التي تطبقها ملكة الخيال على المحسوسات[٣]. فملكة الخيال تنتج ما يسميه كانط بالخطاطات الأولية؛ ووظيفتها التوسط بين المدركات والمفاهيم , ومثلها مثل المهندس المعماري الذي يصنع في ذهنه صورة للمنزل، وهي صورة عقلية؛ ولكنه لكي ينفِّذ الفكرة، أي لكي يجسد المنزل فعلياً في الواقع يمسك بورقة وقلم ويقوم بتخطيط هندسي. هذا التخطيط (مخطط البناء) يقوم بدور الوسيط بين الفكرة التي في الذهن والمنزل الفعلي المراد بناؤه. وهكذا هو عمل الخطاطات التي ينتجها الخيال؛ فالخطاطة تجمع بين تجريدية العقل ومادية الحسّ, فهي قوالب ثابتة تركّب المدركات والمتصوّرات لتكوين تمثلات ذات معنى[٤].

ربط المعرفيون مفهوم الخُطاطة بمفهوم التجسّد تأكيدا على دور الإدراك والقدرات الحركيّة في تنظيم التجربة وتنظيم المفاهيم , وإدراك المعنى فإدراكنا لما حولنا أو إدراكنا للعالم إدراك متجسّد , فنتفاعل بأجسادنا مع الزمان والمكان والأشياء في هذا العالم[٥].

إذ تعدُّ الخطاطة من وجهة نظر بيولوجيّة والعلوم المعرفية جزءا من النظام العصبي؛ لذا مثلّت فكرة التجسد الفكرة الأساسية التي قامت عليها الرؤية اللسانية المعرفيّة للمعنى , فالفكر المجرد لا ينفصل عن الفكر المُتجسّد , فأكثر مفاهيمنا تجريدا لا تنفصل عن تجربة الجسد(٦)؛ لأنّ التجربة العقلية غالبا ما تقع تحت سيطرة الجسد المجازية , إذ ينقل العقل من خلال الآليات المجازية بُنى التجارب المادية : الحركة , والرؤية البصرية والاحتواء , ومنطقها وتفاعلاتها ليشكّل المفاهيم المجردة الفلسفيّة وغيرها ؛ ذلك لكوننا ذوات معرفيّة متجسّدة , وذوات ثقافيّة اجتماعية ترى الوجود وفق تصوّرات يبنيها الدّين والفن والمجتمع، وهذه الثّقافة متحوّلة بطبيعتها؛ لأنّها محكومة بمقولتي الزمان والمكان، أي نحن في الأخير ذوات تاريخيّة، ونسبيّة في فهمها وتمثّلها للوجود من حولها (٧).

خُطاطة القوّة :

تمثل خُطاطة القوّة إحدى الخُطاطات الذهنية التي يقوم عليها جانب كبير من النشاطات الجسدية والفكرية من خلال التفاعل الحاصل بين الفضاء الجسدي و الفضاء الفيزيائي , أي محصلة تفاعل الجسد بسائر حواسه مع الفضاء الخارجي المحيط به من جهة , والبناءات الذهنية للتجارب الحسية والإدراكية والشعورية من جهة أخرى, وهذا التفاعل يقتضي استعمالا للقوة يخول للإنسان التعامل مع غيره من الأجساد في العالم . فالقوة موجودة في كلِّ مكان نتحرّك فيه , وهي موجودة في أجسادنا ذاتها التي هي عبارة عن تفاعل لعدد من القوى , وموجودة في حياتنا اليومية التي تقوم على سلسلة من الأفعال المعتمدة على القوى , وبالتالي يمكن تجاوز الواقع التجريبي لهيكلة الأفكار والتصوّرات المجردة , إذ يمكن إسقاط تجربتنا الحسيّة على أكثر أفكارنا وتصوّراتنا تجريدا بما أنَّ هذه الخطاطة نظام مجرد يحكم تفكيرنا انطلاقا مما يشاهد في الواقع (٨), وهذه البنية الخطاطيّة تقوم على جملة من الأوليات البدائية , أهمها أنَّ كلَّ نشاط قوة هو ضرورة تعبير عن تفاعل قوى وعن تأثير وتأثر , وهذا يقتضي ضرورة وجود طرفين يمارسان القوة ويتفاعلان , هما بلغة جونسون(٩) قوة وحاجز , وبتعبير آخر المُعارض ,

والمُعاني . فالقوّة عادة هي حركة لشيء ما عبر الفضاء في اتّجاه ما. وهذا ما يحدّد جوهر الصراع في خُطاطة القوة , وكلُّ قوة هي عبارة عن مسار حركة في اتّجاه ما , قد يكون هذا الاتّجاه واحدي الاتجاه أو متعدد الاتجاهات , ولكلِّ قوة مصادر تنشأ عنها سواء كانت طبيعية أو صناعية , هذه المبادئ العامة تمثّل (البنية الجشطلتيّة) للقوة , التي تحكم العالم التجريبي والعالم المجرد عبر الإسقاط الاستعاري . فالأفكار والرؤى والتصوّرات تتصارع وتدخل في تفاعل قوى , وتتغالب وتنتصر وتنهزم , فيمكن فهم الحواجز الذهنيّة والفكريّة المجردّة بالتّماثل مع القوى الفيزيائية والاجتماعيّة(١٠).

تتجلّى هذه الخطاطة في الممارسات اللغوية على مستوى البنى الصغرى , وعلى مستوى البنى الوسطى التي يمكن أن تتمثل في الخطاب أو الجنس الأدبي , وعلى مستوى البنى الكبرى التي تتمثل في البنى الاجتماعيّة المحدّدة لرؤية ما وتجسيداتها اللغوية , وعلى مستوى البنى العليا التصوّرات العامة الناظمة لهذه البنى التي تشكّل الإيديولوجيا المحركة لهذه الخطاطة(١١).

أولا: خطاطة القوة على مستوى البنى الصغرى:

يعدُّ الخطاب بحدِّ ذاته سلطة وقوة تأثيرية , فإنّ السلطة التي يعبر عنها أو يجسّدها الخطاب هي عبارة عن علاقة قوى , وأنّ ظهور الخطاب من حيّز الوجود بالقوّة إلى حيّز الوجود بالفعل هو ممارسة قوّة ؛ لأنّ إنجاز الخطاب هو ذاته إنجاز قوة فعل , و تُظهر ممارسة الخطاب علاقة بين قوتين , هي علاقة سجال وصراع وتدافع , أو علاقة تأثير وتأثّر , وتتحدّد علاقة القوّة بقوّة تأثيرها في قوّة أخرى, فالتحريض والإثارة والإنتاج وسائر المفردات المشابهة مؤثرات فاعلة , وإنّ التعرض للتحريض والحثّ وغيرها , مؤثرات استجابيّة منفعلة(١٢).

فمن الضرورة أن يتسم الخطاب القرآني ببنية جشطلتيّة أساسيّة هي خطاطة القوة , فهو خطاب الهي مطلق ذو سلطة قدسية استعلائية خاصة رحمة للعالمين , وهو خطاب التكليف والتشريع , و نظام القول المؤثر في الآخرين وإقناعهم بوصفه نظاما للتفاعل والفعل المتبادل بين أطراف العملية التواصلية أو بوصفه نظاما للتسلط والفعل من طرف واحد أو بوصفه نظاما للتبعيّة والخضوع (١٣), فالخطاب يستمد سلطته من

الجهة الصادر عنها , ومن طبيعة الخطاب نفسها , ومن قدرته الشمولية الكليّة على صوغ مجاله وقوانينه , واحتواء المتكلمين له , ومن ارتباطه بمصادر قوة كالمؤسسات الدينية أو المؤسسات الاجتماعية التي تمتلك قوّة مؤثرة في أفعال الآخرين وتصرفاتهم , ومن سلطة اللغة التي يتماهى بها ويتبادل معها السلطة بوصفها الفاعل الرئيس في الخطاب و إحدى أهم آلياته في فرض هيمنته على متكلمي هذه اللغة [١٤], فقد أصاغ الخطاب القرآني الحقيقة المطلقة التي يعجز الإنسان عن إدراكها بلسان عربي مبين **قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف/٢]** , وقوله تعالى: **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء/١٩٥]**, وتحدى متكلميه على أن يأتوا بمثله كقوّة معارضة له , وكان التحدي على درجات ؛ لإظهار كامل عجزهم وضعفهم , وإثبات وحيانية الكتاب العزيز ونبوة الرسول الكريم محمد (ص). **قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القصص/٤٩]** , **وقوله تعالى : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء/٨٨]** , وقوله عزَّ من قال : **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود/١٣، ١٤]** , حتّى **قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة/٢٣، ٢٤]**, وقال تعالى: **﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور/٣٤]** , فإنّ عجزهم عن الإتيان بمثل هذا الخطاب الوحياني ولو بعشر سور مفتريات أو سورة بقصر سورة الكوثر أو العصر أو بحديث يماثله وإن كان دون السورة هو لقوّة الخطاب القرآني الإعجازية التي تفوق اجتماع كلِّ القدرات وقوّتها الإنجازيّة[١٥].

وقد تجلّت خُطاطة القوّة في البنى الصغرى للآيات القرآنية أعلاه من خلال الأعمال القوليّة[١٦] التي تكونت من القوّة اللاقولية والمضمون القضوي الذي يمثّل القضيّة وكلاهما يمكن أن يمثّل قوة في مقابل قوّة أخرى, أي مُعارض ومُعان من خلال تطبيق

بنية الإلزام القائمة على مفهوم قوّة فيزيائية تُجبر قوّة أخرى على التحرك في اتّجاه معيّن . فيمكن عدّ أسلوب الشرط والأمر والنفي والوعيد قوة إلزامية (عارض , قوة) مورست على السامع الذي مثل بدوره القوة المقابلة (الحاجز, المعاني) , بغية تغيير وضعهم والتأثير بهم.

فقد ذكر البو عمراني أنّ جونسن قد حدّد أربعة قوى يمكن أن تُمارس استعاريا من خلال الأعمال اللغوية[١٧] :

- القوة التي تعمل في الجمل لتغيير شكلها من التعبير التقريري إلى الاستفهام أو غيره . فقد جاء التعبير عن ريبهم بأسلوب الشرط ولم يعبر عنه مباشرة.
- القوة اللاقوليّة التي تعمل في السامع , لتحدّد له نوعيّة فهمه لهذا القول, أي تحدّد القول سؤالا أو إثباتا أو أمرا أو نوعا آخر من الأعمال اللاقوليّة , أي تحديد الفعل الإنجازي المترتب على القول. فقد طُلِب منهم الإتيان بمثله وقد عجزوا عن ذلك.
- القوة التي يمارسها الخطاب على السامع وتكون على درجات مختلفة , وكلّما كانت القوة اللاّقوليّة أقوى في العمل اللغوي كان إخضاع السامع لمشيئة المتكلم أوكد. ويمكن أن يمثّل حضور أدوات التوكيد في الكلام مظهرا من مظاهر التدرج في القوّة . وقد تدرجت الآيات أعلاه في التحدي مع التأكيد على عدم استطاعتهم ذلك.
- التأثيرات التي تمارس عن طريق القوّة اللاقوليّة , أي التأثيرات الناجمة عن ذلك القول. فيفترض بعد عجزهم عن الإتيان بمثله إيمانهم وإذعانهم له.

وقد تجلّت هذه القوى في الخطاب القرآني العقدي على مستوى البنية الصغرى للخطاب من خلال الأعمال القوليّة , والقوّة الجعليّة (الأثر والمؤثِّر) , والبنية التصوّرية الحجاجيّة:

١- الأعمال القولية : أشار الدكتور محمد صالح البو عمراني إلى أنَّ جونسون قد استثمر أعمال سيرل في التداولية في هذه الخُطاطة، إذ يتكون العمل القولي عنده من فعل الانجاز (العمل اللاقولي) والمحتوى القضوي الذي يحمله هذا الفعل[١٨] . فقد اتفق جونسون مع سيرل في مصطلح المحتوى القضوي وهو القضية التي

تحملها الجملة (proposition) , وحوّل قوة العمل الإنجازي (Désactives) – أي الملفوظات التي تحمل المُخاطَب على انجاز عمل ما[١٩]– إلى العمل اللّاقولي(Force illocutoire) ، ويعنى به القوة التي تُغير الشكل التعبيري للجملة[٢٠]. فقد تجلّت خُطاطة القوّة في لغة الخطاب القرآني من خلال الأفعال الكلامية التوجيهيّة التي تبغي التأثير في المتلقي ؛ لتحقيق أغراض إنجازية : الأمر والاستفهام والنداء والنفي والنهي والشرط والوعد والوعيد وغايات تأثيرية تخصُّ ردود فعل المتلقي لحمله القيام بفعل أو تركه , أو تقرير حكم من الأحكام , أو التأكيد على أمر , أو التشكيك فيه , أو نفيه ؛ لتصحيح المسار العقدي وبناؤه بالشكل اللازم الذي يرتضيه الله سبحانه وتعالى. قال تعالى في سورة العلق: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)**﴾ , فقد تجلّت القوّة القولية واللاقوليّة التي مورست على المتلقي في السورة أعلاه بوضوح من خلال الأساليب الإنشائية التي تضمنتها السورة , فقد استهلَّ الخطاب القرآني مفتتح نزوله وبدء الوحي بصيغة الأمر(اقرأ) الذي تضمن الفعل الإنجازي المتمثل في القراءتين قراءة الخلق, وقراءة الوحي ((**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)) فقد تكرر فعل الأمر(اقرأ) مرتين إشارة إلى أنَّ قراءة الوحي تتضمن قراءة قدرة الله التي تجلَّت في الخلق مظهر القوّة الإلهية الحسيّة المدركة التي تشير إلى توحيد المجرد المطلق, فمنهج قراءة الخلق يبدأ بخلق النفس الإنسانية من بداية الخلق إلى نهاية أطوار الحياة كلِّها فالقراءة تبدأ من النفس باتِّجاه الكون والآفاق , وهو إشارة إلى

توحيد الربوبية الذي يفترض رجوع الإنسان إلى ربِّه[٢١] . وقال سبحانه في سورة التوحيد: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾** فقد مارس الوحي الإلهي قوة تتمثل في الفعل الإنجازي (الأمر) لتحقيق المفهوم التوحيدي في نفس المتلقي الذي مثل دور(المُعاني الذي مورست عليه القوّة). ومنه قوله تعالى: **﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه/١٤]** , وقوله تعالى : **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف/١٥٨]** , فمثّل فعل الأمر (قل , آمنوا, اتَّبعوه) قوة إلزامية مورست على السامع؛ فالأمر صادر من الذي له ملك السموات والأرض الإله الذي لا إله إلَّا هو يحيي ويميت , وقد انتظم أن يفرع على هذه الصفات الثلاث الطلب الجازم بالإيمان بهذا الرسول الذي أتمر بأمر الله ((والمقصود طلب الإيمان بالنبي الأمي؛ لأنَّه الذي سِيق الكلام لأجله))[٢٢], وقال تعالى : **﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) ﴾ [يوسف/٣٩]** , أدّى الاستفهام معنى التقرير , وهو ضرب من القوّة التي مورست على المخاطب للتأثير في عقيدته , فمثّل الاستفهام التقريري بذلك المعارض الذي مارس قوة على المُعاني , أي قوة إلزامية على السامع , فتتمثل خُطاطة القوّة الكامنة في هذه النماذج اللاقولية المختلفة في إلزام المتلقي والتأثير فيه . وقد مورست هذه القوة لغويا أساسا للتأثير في آراء المخاطب وسلوكياته ، واستمالة العقول ، وتوجيه النفوس , وتحديد العلاقات القائمة بين العبد وربِّه.

٢- القوّة الجعليّة :

فقد تجلّت خُطاطة القوة في دينامية قوالب القوة الثابتة وديناميةقوالب القوة المتحوّلة من خلال الجعليّة التي تعكس مفهوم علاقة السبب والأثر؛ حيث يمثّل المعارض السبب , والمُعاني الأثر[٢٣], وقد أكّد القرآن الكريم مبدأ السببية، واعدّ الأسباب أسباباً جعلية وليست ذاتية، فالأسباب داخلة في قسم الممكنات التي تتسلط عليها القدرة الإلهية

فتصرفها كيف شاءت , إذ القوّة المحرّكة في الكون قوّة جعليّة إلهية , وإنّ الآثار الوجودية والكون وما فيه مظهر من مظاهر القوة الإلهية , وأنَّ الله تعالى هو المؤثر في الأشياء تأثيرا ذاتيا, فهو تعالى القوّة المطلقة في الكون والعلة الأولى في الوجود , فإنّ خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار , وخلق الموجودات الحيّة وغير الحيّة وغيرها هو معنى استعاري لممارسة القوّة الإلهيّة. فإنّ التحكم بالشيء هو ممارسة قوة عليه, فالتحكم بالنفس مثلا حركة قسرية للنفس وفقا للخطاطة الآتية:

التحكم بالنفس حركة قسرية لشيء

شخص _____الذات.

شيء فيزيائي _____النفس.

حركة قسرية _____التحكم بالنفس بواسطة الذات.

عدم وجود حركة قسرية_____عدم تحكم بالنفس بواسطة الذات .

وعليه يكون مثلا: (رفعتُ يدي) معنى استعاريا لخُطاطة قوة , أي أنّه يعني حرفيا مارست تحكما في الجسد , مُسبّبا رفع يدي , فكلّ حركة جسدية هي نوع من ممارسة القوة, المتصوّرة والمعبّر عنها استعاريا من خلال الحركة القسريّة للشيء[٢٤].

ويمكن أن نُدرك معنى الجَعليّة ونفهمها بالأمثلة المادية حسب دراسة طالمي –حسب ماذكر البو عمراني[٢٥]– في:

١– دينامية قوالب القوة المُتحوِّلة **التي** تُعدّ جَعلية عامة (On est causation) , أي دينامية تُغيِّر حالة المُعاني من حالة إلى أخرى بسبب المُعارض، نحو قولنا : (جَعَل رَمْيُ الكرة المصباح يسقط).

– المُعاني:(المصباح) لديه ميل طبيعي للسكون.

المعارض:(الكرة) كانت أشد قوة وأسقطت المصباح فتغيّرت حالته.

٢– دينامية قوالب القوة الثابتة التي تُعدّ جعلية مُوسَّعة (extended causation), إذ تتكوَّن من جَعلية حركة، وجعلية سكون. أي تغيير حركة المُعاني من الحركة إلى السكون أو العَكس.

مثالها في دينامية الحركة : (بقيت الكرة تدور بسبب الريح).

- المعاني(الكرة) : لها ميل طبيعي للسكون.
- المعارض(الريح) : كان أشدَّ قوة وحرَّك الكُرة .

ومثالها في دينامية السكون : بَقِيَ الماءُ مُنحَبِسًا بِسَبب الجِدار الذي يَعتَرِضُه.

- المعاني(الماء) : له ميل طبيعي للحركة .
- المعارض(الجدار) : أشَدَّ قوة من الماء فأَوقَفَهُ عن الحَرَكة.

تشترك هذه النماذج المختلفة للجعليّة في خاصيّة تجمعها وهي أن النتيجة التي يؤول إليها المعاني تعارض الميل الطبيعيّ لاتّجاهه.

فقد كانت آيات الخلق والتفكر والأسماء الإلهية والأوامر والنواهي والوعد والوعيد معاني استعارية لخطاطة القوّة في الخطاب العقدي قال تعالى : **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت/٥٣]** ؛ فإنّ الخطاب القرآني المتضمن الحقيقة القرآنية المكنونة في اللوح المحفوظ صيغت صياغة لغوية عربية بقوّة جعليّة حولت الحقيقة الوجودية للقران الكريم إلى صياغة لغوية قال تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ **[الزخرف/٣]** , أي أنّه له مرحلة من الكينونة والوجود ثابتة لا تنالها عقول الناس, وقد جعله الله قرآناً عربياً بقوّة جعلية محولة إيّاه لتعقله العقول النسبية حسب الأرضيّة المعرفية المتغيرة عبر الزمان والمكان من خلال المثل والتمثيل لا الحقيقة المطلقة الثابتة غير المتحولة(٢٦).

قال تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣) وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)﴾ [الأنبياء/٣٠-٣٥]**, فقد تعرضت الآيات أعلاه إلى تصرف الله تعالى في أحوال السموات والأرض وتغيّرها من حال إلى حال (من الرتق إلى الفتق) , وإلى أثر

الماء في حياة الأشياء , وقوة الرواسي التي تعمل على تثبيت الأرض, وإلى ظاهرتي الليل والنهار, وقهر النفس بالموت , وقوّتي الخير والشرِّ, ورجوع الأمور كلِّها إلى الله تعالى القوّة المطلقة في الكون.

وإذا كان الإحراق خاصيّة في النار فقد تسلط عليها القول الإلهي معارضا هذه الخاصية بقوة مُتحوّلة مغيّرة حالها من حال إلى حال, قال تعالى: **﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء/٦٩]**, فقد مثلت النار مُعانيا سُلطت عليه قوة جعلتها بردا وسلاما.

قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج/٥]**, فقد تعرضت الآية إلى تغيّر أحوال الخلق (المُعاني) من حال إلى حال بقوّة القدرة الإلهية (المعارض), والى حال الأرض الهامدة التي تسلط عليها الماء الذي مثل مُعانيا ومعارضا في الوقت ذاته , معان لقوة الإنزال الإلهي , أي أنه تسلطت عليه قوة أنزلته إلى الأرض فيغيّر حالها, فالأرض مُعان تسلطت عليها قوة الماء الجعليّة المتحوّلة (المعارض) فجعلتها على ما هي عليه من الحياة والإنبات.

وقد تُعدّ الجَعلية إحدى أهم التَّجليات التي تَحضُر فيها دينامية القوة في كلِّ المستويات (السيكولوجية، الفكرية، الاجتماعية)، فيتحَوَّل صراع القوى إلى صراع داخلي بين الدَّوافع النفسية، حيث يكون هُناك جزء من الذَّات أقوى من الجزء الآخر ويَدفَعُه للقِيام بعمل ما[٢٧]. قال تعالى : **﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤) ﴾ [النمل/ ١٣, ١٤]**, فقد أشارت هاتان الآيتان إلى قوة الآيات الإلهية المبصرة التي جاءت إلى فرعون وقومه على يد نبي الله موسى عليه السلام , وصراع الجاحدين بها نفسيّا لما توارثوه اجتماعيا عن آبائهم وأجدادهم من الوثنية

والشرك جعلهم يجحدون بها , فإنّ عنادهم وعلوّهم وظلمهم لأنفسهم دفعهم إلى الجحود بها على رغم استيقان أنفسهم لها, فكانت الآيات المبصرة قوة (المعارض) تسلطت على أنظارهم مما جعل أنفسهم(المُعاني) تستيقنها . وظلمهم وعلوّهم قوة (معارض) تسلطت عليهم فدفعتهم إلى الجحود.

قال تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[الجاثية/٢٣]** , عرضت الآية الشريفة دينامية القوة المحركّة للصراع النفسي الداخلي الذي يجعل النفس في علوٍّ واستكبار وعناد وإضلال للسبيل مع العلم به ومعرفته واتخاذ الهوى ((وذلك أنَّ العلم لا يلزم الهدى , ولا الضلال يلزم الجهل بل الذي يلزم الهدى هو العلم مع التزام العالم بمقتضى علمه فيتعقبه الاهتداء , وأمّا إذا لم يلتزم العالم بمقتضى علمه لإتباع منه للهوى فلا موجب لاهتدائه , بل هو الضلال وان كان معه علم , ... والختم على السمع والقلب هو أن لا يسمع الحقَّ و لا يعقله , وجَعْل الغشاوة على البصر هو أن لا يبصر الحقَّ من آيات الله. ومحصل الجميع : أنَّ لا يترتب على السمع والقلب والبصر أثرها وهو الالتزام بمقتضى ما ناله من الحقِّ إذا أدركه لاستكبار من نفسه وإتباع للهوى)) [٢٨] , فتمثّل معنى القوة الجعلية في قوالب دينامية القوة الثابتة الموسعة بين فعل وردة فعل , فكان الهوى معارضا لفطرة الإنسان الطبيعية في ميلها إلى إتباع الحقِّ , و الهداية الإلهية التي مثلّت دور المُعاني في مقابل الهوى (المعارض) , فتسلط الله عليه (أضلّه, ختم , جعل), فأصبح معانيا لقوّة الله القاهرة فوق عباده.

٣- البنية التصورية الحجاجية:

تجلّى الصراع الفكري المتناقض في البنية التصوّرية للحجاج الذي تحمله لغة الخطاب القرآني العقدي بين الإطراف المتناقضة عقديا في خُطاطة قوّة . ((فإذا كان الصراع الفيزيائي يقوم على قوتين , المعارض والمُعاني , فإن الصراع الحجاجي هو توسيع استعاري لهذا الصراع الطرازي)) [٢٩], يتجلى في قوالب دينامية القوة الثابتة, وقوالب دينامية القوة المتحوّلة من خلال الوحدات المعجمية أو الروابط الحجاجيّة التي تُعدّ من الوسائل اللغوية التي تحدّد الربط بين الحجّة والنتيجة , وتساهم في توجيه القول

توجيها حجاجيّا مخصوصاً , وتتمثّل خطاطة القوة غالبا في التضاد الحجاجي الذي تعكسه الروابط الحجاجية وعلى رأسها (لكن) التي تُعدُّ نموذجا طرازيا لهذه الروابط[٣٠].

فالروابط الحجاجية هي وحدات مورفولوجية (مورفيمات) تصل بين قولين أو حجتين أو أكثر يجري سوقها في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة , وتسند لكلّ قول دوراً محدداً داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة. وأمَّا من حيث الجانب الوظيفي فللروابط الحجاجية وظيفتان رئيستان : أحدهما أنّها تربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر , والأخرى تخدم دوراً حجاجياً للوحدات الدلالية التي تربط بينهما , وإنّها نوع من العناصر النحوية والظروف مثل (الواو، الفاء، لكن، إذن، حتى, لأن , بل, لاسيَّما , بما أنَّ , إذ , لا...إلّا... إلخ)[٣١] .

تتمثل خطاطة القوة في التضاد الحجاجي بين ما قبل الرابط الحجاجي وما بعده الذي قد يتجلى في أربعة مستويات للصراع يمكن أن يستحضرها المتلقي عند قراءة الجملة الحجاجية [٣٢]:

- خطاطة القوة الأولى: حجة (ق) معارض / نتيجة (ن) مُعان.
- خطاطة القوة الثانية : حجة (ق–) معارض / نتيجة (لا–ن) معان.
- خطاطة القوة الثالثة : حجة١ (ق–) معان / حجة٢ (ق) معارض.
- خطاطة القوة الرابعة : نتيجة١ (لا– ن) معان / نتيجة٢ (ن) معارض.

إنّ باني الخطاب الإقناعي (المحاجّ) يقدم (ق, وق–) بعدِّهما حجتين, الحجّة الأولى موجهة نحو نتيجة معينة (ن), والحجّة الثانية موجّهة نحو النتيجة المضادة لها, أي (لا–ن). وتُقدم الحجة الثانية بعدِّها الحجّة الأقوى التي توجّه القول أو الخطاب برمّته وبهذا تكون في أعلى السلّم الحجاجي [٣٣].

فقد قام الخطاب القرآني بصورة عامة والعقدي بصورة خاصة على الحجاج في المقام الأول ؛لأنَّ الحجاج هو العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية[٣٤]؛ فالخطاب القرآني يطرح قضية مهمة في الحياة البشرية جمعاء ، وفي كلِّ زمان ومكان تتمثل في وحدانية الله عزَّ وجلَّ والتسليم له, ومن أجلها أرسلت الرسل والأنبياء وهي دعوة السماء الكبرى

وأهم أصول الدين المتمثلة في الإسلام . قال تعالى: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[آل عمران/١٩]** , فإنَّ حسب المنطق القرآني الحجة الأقوى تمثلت في الطرف الأول من الجملة الحجاجية **(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)** ((وأن اختلف كما وكيفا في شرائع أنبيائه ورسله على ما يحكيه الله سبحانه في كتابه , غير أنَّه ليس في الحقيقة إلّا أمرا واحدا, وإنّما اختلاف الشرائع بالكمال والنقص دون التضاد والتنافي , والتفاضل بينها بالدرجات , ويجمع الجميع أنّها تسليم وإطاعة لله سبحانه فيما يريده من عباده على لسان رسله))[٣٥]. ولكن ما بعد الرابط الحجاجي (الواو) الحجَّة الثانية فهي وإن كانت دون الأولى من السلم الحجاجي –بغيا من عند أنفسهم– إلّا أنّها تمثّل واقع الحال وتتضمّن نتيجة مضادة للحجة الأولى التي تتضمن أن يكون الناس على دين واحد, فالحجة الثانية تمثل وجها من وجوه الصراع المتكرر في أشكال مختلفة بين ما يريده الله تعالى وبين أهواء النفس الإنسانية , ومنه قوله تعالى : **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[البقرة/٢١٣]**, قال تعالى : **﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف/٤٠]**, فإنّ الحجة الأولى قبل الرابط الحجاجي (لكن) موجّهة إلى نتيجة عبادة الله الواحد الأحد , لكن الواقع خلاف ذلك , فجاءت الحجّة الثانية بعد الرابط متضمنة النتيجة المضادة, ومنه قوله تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/١٣]**, فهم السفهاء حقيقة ولكن عنادهم يضلّلهم عن تلك الحقيقة. قال تعالى: **﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان/٤٤]** , فإنّ ما بعد الرابط الحجاجي أقوى في تأكيد نتيجة الإضلال التي هم عليها, وقوله تعالى :

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾ [البروج/١٧-١٩] , إنَّ الرابط الحجاجي أقام علاقة حجاجية مركبة من قوة علاقتين : علاقة بين حجَّة إطلاعهم على أخبار فرعون وثمود وغيرهم , التي تفترض اتعاظهم واعتبارهم , وعلاقة تسير في اتجاه النتيجة المضادة الحجة الأقوى بعد (بل) وهي تكذيبهم وعدم اعتبارهم واتعاظهم من غيرهم [٣٦]. قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/٢٥٨]** , فقد صورت الآية الصراع الحجاجي بين حجة نبي الله إبراهيم عليه السلام (معارض), وحجة النمرود (معان), فالرابط الحجاجي (إذ) أقام صراعا بين استعارتين تمثّلان تصوّرين مختلفين بين رؤيتين مختلفتين متضادتين الأولى (الإحياء والإماتة في تصور إبراهيم عليه السلام) , والثانية (الإحياء والإماتة في تصور النمرود), وأمّا الرابط الحجاجي (الفاء) فقارن بين قوة وضعف الحجتين.

ثانيا : خُطاطة القوّة على مستوى البنى الوسطى:

إنّ الخطاب القرآني يقوم على أكثر من بنية تحقق انسجامه ومن هذه البُنى بنية خُطاطة القوة التي تجلت في صراع الحق والباطل , والوهم والحقيقة , والخير والشرّ , وصراع قوى النفس الإنسانية (الصراع الذاتي), وغيرها التي يمكن أن نلحظ فيها كلَّ بُنى القوى الجشطلتية التي أشار إليها جونسون التي تجري في تجربتنا بشكل ثابت وهي[٣٧]:

١- **قوة التمكين** : وهي التركيز على إنجاز عمل ما أو حركة والإحساس بتلك القوة[٣٨]. فالتمكن المطلق في الكون لله وحده سبحانه وتعالى الذي نلمسه من خلال آثاره الوجودية وقدرته المطلقة على كلّ شيء , وما وجود الإنسان وخلافته على هذه الأرض إلّا أمر من الله تعالى وتمكن مشيئته في خلقه قال تعالى : **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**

[البقرة/٣٠], فإنّ الله سبحانه وتعالى هو المتمكن المطلق في أمره العالم في شؤون خلقه , وقد اعترض الملائكة على خلافة الإنسان في الأرض لمعرفتهم بنزوعه إلى الشرِّ والفساد الكامن في طبيعته , وهو صراع أبشعه قتل بعضهم بعضا , ولكن الله تعالى أعلم بخلقه وبقدرتهم على الكمال , فهذا المخلوق الذي وصفه الملائكة بالفساد وسفك الدماء هو نفسه عرّف الملائكة ما كانوا يجهلونه من حقائق الأشياء[٣٩], قال تعالى : **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة/٣١-٣٣]**, فآدم كان لديه قوّة تمكن من تعلم الأسماء والقدرة على الكمال بفضل الله عليه بنفخة الروح , قال تعالى: **﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر/٢٩]**, ومن هنا جاء الأمر الإلهي بالسجود لهذا المخلوق قال تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/٣٤]**, فالإنسان مخلوق تستبطن طبيعته الشرّ والفساد من جهة , ومن جهة أخرى تكمن فيها استعدادات لبلوغ مقامات تفوق مراتب الملائكة[٤٠]. وقد تمثل صراع الخير والشرّ , صراع التكامل والتسافل في قصة ابنّيّ آدم في قوله تعالى: **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة/٢٧-٣٠]**,جاء في مقاييس اللغة الطاء والواو والعين أصل واحد يدلُّ على الإصحاب والانقياد. يقال: طاعه يطُوعه إذا انقاد معه ومضى لأمره, والعرب تقول تطاوعْ لهذا الأمر حتى تستطيعه[٤١], والتطويع يدلُّ على التّدريج وهو الاقتراب التدريجي للنفس من الفعل بوسوسة بعد وسوسة من خلال

الأفكار التي توحي بها النفس الأمّارة بالسوء, فتسهّل له قتل أخيه بإبعاد المعوّقات التي تمنعه , وتهيئة الوسائل التي تقربه من ذلك(٤٢), فقد مثل هابيل الخير , وقابيل الشرّ والجانب المظلم من النفس الإنسانية حيث مكنته نفسه وطوَّعت له قتل أخيه بإعطائه إحساس القدرة على قتله فقتله حسدا منه.

٢- **قوة الصرف أو القوة الداعمة:** أي صرف قوة عن قوة أخرى في اِتّجاه آخر بسبب تفاعل بينهما، فتحاول القوة الثانية تغيير وجهة الأولى(٤٣). فكأنَّ هذه البنية جماع واقع الأنفس البشرية التي تستهويها قوة الشهوات فتلَّزمها وتصرفها عن طريق الهِداية أمّا زَجرها فهي قوة صرف تَصرف قوة الشهوات والملذات، بتكليفها بالأوامر والنواهي, قال تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات/٣٧-٤١]**, وقد تمثّلت هذه القوة في رفض إبليس السجود لآدم في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/٣٤]**, فاستكباره قوّة صرفته عن السجود والامتثال لأمر الله تعالى؛ لذا أخذ على نفسه صرف الإنسان عن طاعة الله بتزيين سوء العمل, قال تعالى: **﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/٤٣]**, قال تعالى : **﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة/٢٤]** , وهو تحذير من خلال تعدد الأسباب التي تتعلّق بها نفوس الناس فيَحول تعلّقُهم بها بينَهم وبين الوفاء ببعض حقوق الإسلام(٤٤), فهذه الأشياء المادية قوى تصرف الإنسان عن حبِّ الله ورسوله والجهاد في سبيله. ومَن انصرف عن آيات الله صرف الله قلبه عن الحقِّ قال تعالى: **﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة/١٢٧]**, فـ(صَرَفَ الله قُلُوبَهُم) عن الإيمان والهداية حسب انصرافهم عن ذلك المجلس , فكأنَّه تعالى قوّة صرفتهم عن التفاعل مع ما أُنزل من القران الكريم

، وتحتمل الجملة الإخبار والدعاء ، ودعاؤه تعالى على عباده بمثابة الوعيد لهم وإعلامهم بلحوق العذاب بهم ؛ لأنَّهم (قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ) لسوء فهمهم و عدم تدبرهم(٤٥). وقد تمثلت قوى الصرف في الواقع الإنساني الاجتماعي بالعادات والتقاليد والأفكار التي تحمل خصوصية القداسة من خلال تقليد الآباء والأجداد في المعتقد , وهي قوّة تصرف الإنسان عن إتباع الحقِّ (دعوة الأنبياء والرسل) , وتحول دون التطور الفكري بتجاوز الماضي وتصحيح مسار التاريخ(٤٦), وقد أشار الخطاب القرآني في أكثر من آية وسورة إلى هذا المعنى ومنه قوله تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[البقرة/١٧٠]** , وقوله تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة/١٠٤]** , وقوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف/٢٣، ٢٤].**

٣- **قوة مضادة** : وتمثّل صراع القِوى كوجود قوتين متكافئتين، أو قوة وخصم يتصادمان، فلاَ يمكن لأي واحدٍ منهما أن يذهب لمكانٍ آخر(٤٧). ويمكن أن تتمثل هذه القوّة في توعد الشيطان الإنسان , **قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف/١٦، ١٧]** , وقد أشار الله تعالى إلى هذه القوة المضادة للإنسان والعمل على تضليله, في مواضع عدة قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة/١٦٨] , وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة/٢٠٨],** وقوله سبحانه : **﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام/١٤٢],** وقوله تعالى: **﴿إِنَّ**

الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر/٦], وقوله عزّ من قال: **﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[يس/٦٠]** , وقوله : **﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الزخرف/٦٢]** , وقوله تعالى:**﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص/١٥]** , فالشيطان قوة مضادة مثبطة للإنسان عن طاعة الله وإغواؤه لإتباع الهوى لكنه ليس له قوة إلزام تلزم الإنسان إلّا على من اتبعه قال تعالى: **﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر/٣٢-٤٢]**, فإنَّ إبليس جعل نوعاً من المقابلة بين خلقه وخلق الإنسان فأبى وتكبر على هذا المخلوق , قال تعالى : **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ [الحجر/٢٦، ٢٧]**, وقوله تعالى: **﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن/١٤، ١٥]**, فالقران الكريم لا يعدم الإشارة إلى أنَّ إبليس من الجن قال تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف/٥٠]**, لذا أشار إلى هذه المقابلة في سياق رفض إبليس السجود واعتراضه على أصل خلق الإنسان[٤٨]؛ فكانت هذه المقابلة و التفضيل الإلهي للإنسان سبب إثارة العداوة في داخل إبليس فأصبح قوّة مضادة في وجه التكامل الإنساني الذي من أجله خُلق الإنسان وصولا إلى المقامات العليا في القرب من الله تعالى. قال تعالى: **﴿قَالَ**

أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء/٦٢].

٤- **قوة الإلزام** : تحركنا هذه القوة بشكل إلزامي لا يمكن مجابهتها وتدفعنا لفعل ما[٤٩], وخير ما يمثل هذه القوة عقيدة الإنسان: قال تعالى: **﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأحقاف/٩]** , الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء , والبدع ، بمعنى : البديع يقال للفاعل والمفعول , (وما كنت بدعا من الرسل) قيل : معناه مُبْدَعا لم يتقدَّمني رسول , أو مُبْدِعا فيما أقول, والبدِعة في المذهب إيراد قول لم يَسْتَنَّ قائلها وفاعلها فيه بصاحب الشريعة[٥٠], فلمَّا ((كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من الغيوب . فقيل له : (قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مّنَ الرسل) فآتيكم بكل ما تقترحونه ، وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات؛ فإنّ الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما آتاهم من آياته ، ولا يخبرون إلَّا بما أوحى إليهم)) [٥١], فهم ملتزمون بما يوحى إليهم, ومنه قوله تعالى : **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[يونس/١٥]**, وقوله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ [الكافرون/١-٦]**, فكلٌّ ملزم بعقيدته.

٥- **قوّة الحاجز أو العائق** : تظهر هذه القوة في محاولة التعاطي مع الناس أو الأشياء في محيط ما ، وغالبًا ما تعترض لتمنع القوة وتحجزها[٥٢]. ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة/٦، ٧]**, الختم والطبع يقال على وجهين مصدر خَتَمْتُ وطَبَعْتُ وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع . والثاني : الأثر الحاصل عن النقش ويتجوَّز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه))[٥٣], والغشاوة ما يُغَطَى به

الشيء[٥٤], فالختم والغشاوة كالقوة المانعة من الاستفادة من القلوب والسمع والإبصار بالتفكّر والتدبّر, أي أن يصير على وصف لا ينتفع بجوارحه فيما يحتاج فيها إليه من النظر والاستدلال الفاصل بين الحقِّ والباطل ؛ لعنادهم وتكبُّرهم على الله بامتناعهم من قبول الحقِّ [٥٥], ومنه قوله تعالى: **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة/١٧]** , فكأنَّ الله سبحانه وتعالى كان حاجزا وعائقا بينهم وبين النور؛ لما كانوا هم عليه من العناد وظلم النفس. ومنه قوله تعالى : **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة/٣٢]**, فكان الله تعالى حائلا دون محاولاتهم, وقوة تعترضهم وتمنعهم من تحقيق غاياتهم. ومن صور القوّة الإلهية الحاجزة والمانعة دون إرادة الإنسان قوله تعالى: **﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾[الصافات/٩٧، ٩٨]**, والأسفل هو المغلوب لأن الغالب يُتخيل معتلياً على المغلوب فهو استعارة للمغلوب[٥٦].

٦- **إزالة الحاجز:** وهو غِياب بعض القُيود الممكنة، وهي بنية تجربة نُلَّقيها يوميًا، حيثُ تجعل بذل الجهد أمراً ممكنًا[٥٧], أي إزالة العوائق والعوارض التي تعترضنا. إنّ إرسال الرسل مبشرين ومنذرين هو بمثابة قوّة عملت على إزالة حواجز الوهم والأفكار والمعتقدات الخاطئة وتسليك طريق مسار الاعتقاد الصحيح لكي لا يكون للناس حجّة على الله قال تعالى: **﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/١٦٥]**, ففيه إشارة إلى ضرورة إرسال الرسل لقصور الكلِّ عن إدراك جزيئات المصالح والأكثر عن إدراك كلياته[٥٨], و منه قوله تعالى:**﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد/٢٥]**, فقد جاء الرسل بالبينات الحجج الدالة على حقائق العقيدة وجدية الشريعة , لتزيل الشكَّ والشبهات التي تعتري النفوس , والكتاب تعريف الجنس , أي الكتب السماوية ومنها القران الكريم المرجع الإلهي الذي يستنير به المسلم في منهاج حياته , والميزان إشارة إلى إقامة العدل بين

الناس من خلال ما يبينه الكتاب[٥٩], قال تعالى: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة/٢]** , فالكتاب بمثابة قوّة استرشادية أزالت حواجز الضلال والوهم عن العقول بما فيه من عبر ومواعظ واسترشاد واستدلال وهداية تدعو إلى التدبّر والتفكّر للوصول إلى طريق الحق وعبادة الإله الواحد الأحد. وقوله تعالى: **﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة/٢١٣]**, وقوله تعالى: **﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم/٧٦]**, فالتوفيق الذي يختص به المهتدي قوّة تعمل على تمكينه وإزالة الحواجز عن طريق هدايته. ومنه قوله تعالى: **﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق/٢٢]**, فإذا كان في هذه الحياة الدنيا ما يعترضنا ويمنعنا عن رؤية الأشياء بحقيقتها , ففي يوم القيامة تتكشف الحقائق ونتمكن من حقيقة الآمر, فقوله تعالى: (هذا) إشارة إلى ما يُشاهد يومئذ ويعاين من تقطع الأسباب وبوار الأشياء ورجوع الكلّ إلى الله الواحد القهار[٦٠]، ((وقد كان تعلق الإنسان في الدنيا بالأسباب الظاهرية وركونه إليها أغفله عن ذلك حتى إذا كشف الله عنه حجاب الغفلة فبدت له حقيقة الأمر فشاهد ذلك مشاهدة عيان لا علما فكريا)) [٦١],

٧- **قوة الجذب** : تحضر هذه القوة عندما نشعر أن أنفسنا تنْجذب لبعض الأشياء **أو** نجذب بعض الأشياء إلينا[٦٢]. ويمكن استشعار هذه القوّة في المفهوم القرآني في مفهوم الاصطفاء والاختيار الإلهي لبعض الأشخاص , أي جذب هؤلاء الأشخاص لأداء مهام إلهية خاصة , وقد تكرر هذا المفهوم في العديد من الآيات ومنها قوله تعالى:**﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران/٣٣]** , وقوله تعالى :**﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة/١٣٠]**, وقوله تعالى :**﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/٢٤٧]**, وهو إشارة إلى اختيار طالوت وإيتائه الملك دون غيره ردّا على من اعترض على ذلك فالله تعالى أعلم بعباده [٦٣], وقوله

تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران/٤٢]** , وقوله تعالى: **﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج/٧٥]** , وقوله تعالى: **﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص/٤٦، ٤٧].** فالاصطفاء مأخوذ من معنيين : من الصفاء والصفو، ويعني الخلوص من الشوائب في مقابل الكدر، فيقال ماء صافٍ بمعنى خالص أو سماء صافية أي بدون غيوم, والآخر بمعنى الاختيار، مأخوذ من صفوة الشيء، يقال صَفوة صِفوة صُفوة بالحركات الثلاث، وصفوة الشيء اختيار، وأخذ صفوة الشيء يقال له اصطفاء[٦٤], فالله تعالى يصطفي من يشاء من خلقه أوعية لرسالاته , فهو أعلم حيث يجعل رسالته فيختار الصالح من عباده لتبليغ دينه ورسالته , فيكونون منجذبين إليه في تفكيرهم وأعمالهم وغاياتهم . ومن قوة الجذب الإلهي لعباده قوله تعالى: **﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[مريم/١٢]**,فإنَّ الله تعالى بعد أن اصطفى عباده وجذبهم بقوة إلى أمره تعالى (قوّة الوحي) طلب منهم الأخذ بقوة ومواجهة الناس بقوة الله وأمره المتضمن بالكتاب (العقيدة والشريعة والمنهج) ليأخذوا دورهم في المواجهة من موقع القوة المرتكزة على عمق الوعي وسعة الأفق وشمول النظرة , وقوة الإرادة , وصلابة الموقف بالدعوة والحركة والخط بقوة فكرهم وشخصيتهم[٦٥], وقد تكرر الأخذ بقوة والأمر به في الخطاب القرآني ومنه قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة/٦٣]**, وقوله تعالى: **﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[الأعراف/١٤٥]**, وهو قوة التحقق بما فيه من المعارف والعمل بما فيه من الأحكام بالعناية والاهتمام[٦٦], ومنه **قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم/٣٠]**, وهو إشارة إلى إرادة الله وقوته في نبيه عيسى وصفته المستقبلية فيما يريده الله له أن يمارسه من دور, فهو عبد لله ومن موقع عبوديته يتحرك في خط النبوّة التي أكرمه الله بها وجذبه إليها[٦٧], ومن صور

الجذب الإلهي للعباد قوله تعالى: **﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة/٥٤]**, ومن صور جذب أولياء الشياطين لشياطينهم قوله تعالى: **﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[الأعراف/٣٠]**, وقوله تعالى : **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف/١٧٥]** , فقد ((أعقب ما يُفيد أن التوحيد جعل في الفطرة بذكر حالة اهتداء بعض الناس إلى نبذ الشرك في مبدأ أمره ثم تعرّض وساوس الشيطان له بتحسين الشرك, ومناسبتُها للتي قبلها إشارة العبرة من حال أحد الذين أخذ الله عليهم العهد بالتوحيد والامتثال لأمر الله ، وأمده الله بعلم يعينه على الوفاء بما عاهد الله عليه في الفطرة)) [٦٨], لكنه أنسلخ عن آيات ربِّه منجذبا إلى وساوس الشيطان. ومن جذب المؤمنين بعضهم لبعض قوله تعالى: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة/٧١]**, إشارة إلى اللحمة الجامعة بينهم وهي ولاية الإسلام وصفة الإيمان فهم في حالة تناصر وتعاضد بخلاف غيرهم[٦٩].

ثالثا : خطاطة القوّة والبنية الكبرى : علاقة الاجتماعي باللغوي :

وهي البنية التي تعكس علاقة التأثر والتأثير بين الخطاب والمجتمع , فالخطاب ممارسة لغوية واجتماعية تساهم في تشكيل النظم الاجتماعية , والوضعيات , والمؤسسات , والإيديولوجيات التي يتضمنها. نتيجة لهذه التصوّرات فإنّ استعمال اللغة ينتج ويحوّل المجتمع والثقافة بما في ذلك علاقات القوّة[٧٠].

فإذا كانت الظاهرة الاجتماعيّة، هي ما يميّز مجتمعًا عن مجتمع آخر، فهي نوع من الظواهر التي تنطوي على صفات ذاتيّة من جنس خاصّ جدًّا، وتنحصر هذه الظواهر في ضروب من السلوك والتفكير والشعور، وهي توجد خارج الفرد . وإن كان

الفرد بين تابع للحقّ أو متعلّق بالظنّ والوهم، وأنّ الفرد هو أساس الاجتماع في سيره الفطريّ التكامليّ، فهو ينتمي إلى أحدى حضارتين أو اجتماعين، الاجتماع القائم على ركيزة التوحيد، وآخر خلافه، فالتوحيد يقيم تربيته وتوجّهه الاجتماعيّ وينمي داخله الحياة الأخروية والجزاء والعقاب, ومراقبة النفس , والأمر بالمعروف , والنهي عن المنكر , والوفاء بالعهود , والالتزام بالأوامر والنواهي الإلهية ، خلافا للآخر(٧١), فالصراع الذي تعكسه اللغة القرآنية في تمظهرات مختلفة في مستوياتها الصغرى والوسطى أجلّه صراع اجتماعي تجلى في صراع الأنبياء مع أقوامهم وهلاك الأمم وهو تعارض ثنائي بين الحقِّ والباطل (معارض ومعان). قال تعالى: **﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ [الرعد/١٧]**, وقوله سبحانه: **﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف/٥٦]** ، وقوله عزّ وجلّ: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد/٣]** ، فهذه الآيات – وغيرها – تبيّن حقيقة مسار التاريخ، وأنَّه صراع بين الحقِّ والباطل، وتصارع بين الخير والشرِّ. فالخطاب القرآني فرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وبين نهج السماء ونهج الأرض، وبين تشريع البشر وتشريع رب البشر. قال تعالى: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان/١]** . فيذهب الشيخ محمد عبده إلى أنَّ الصراع بين الحقِّ والباطل ((سُنّة من سُنن الله في الاجتماع البشري))(٧٢). ويرى سيّد قطب أنَّ الصراع لا يفتر بين الحق والباطل، وبين الإسلام والجاهلية، وبين الشريعة والطاغوت، وبين الهدى والضلال(٧٣). ونحو هذا يقرر الشيخ ابن عاشور أنَّ ((المصارعة بين الحقِّ والباطل شأن قديم، وهي من النواميس التي جُبِلَ عليها النظام البشري)) (٧٤). فإنّ الصراع بين الحقِّ والباطل قد وقع منذ فجر التاريخ، ومنذ أن وُجد الإنسان في هذه الحياة، والصراع بين هابيل وقابيل يمثل صورة أولى من صور هذا الصراع , وأنّ أهل الحقِّ يغلبون أهل الباطل ويُنصرون عليهم بالصبر والثبات على الحقِّ، وبالأخذ بأسباب النصر(٧٥).

وقد قصَّ الخطاب القرآني كثيراً من القصص التي تبين أن العاقبة للحقّ، وأن الباطل

مهما تطاول وبغى وطغى فإنَّه إلى زوال لا بدَّ صائر. قال تعالى: **﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النازعات/١٧-٢٦]** , وقوله :**﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص/٣٨]** , وقوله : **﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر/٢٦-٣٣]** , فقد تحدث القرآن الكريم في سور عديدة عن صراع موسى وفرعون، وهو صراع الحقِّ والباطل، وصراع الإيمان والكفر، فمثل فرعون سلطة سياسية قائمة على القتل والبطش والاستكبار ضد سلطة صوت الحقّ التي مثلها موسى عليه السلام , ومؤمن آل فرعون وهي سلطة دينية إلهية, ولئن كان فرعون قد كسب بعض الجولات في هذا الصراع إلَّا أنَّ الجولة النهائية كانت للحقّ على الباطل، وللإيمان على الكفر، وللعدل على الطغيان بتدخل السماء.قال تعالى: **﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ**

الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الأعراف/١١٣-١٢٠] , وقوله تعالى: **﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف/١٣٧]**. وقد مثلت السلطة الاجتماعية الباطل في مقابل الحقّ –دعوة الرسل إلى الله– في إصرار الناس على إتباع آبائهم وأجدادهم, ومنه قوله تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[المائدة/١٠٤]** , فقد كان للسلطة الاجتماعية والأعراف والتقاليد دورها في الوقوف في وجه الدعوة الإلهية والانتصار لما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم.

رابعا: خُطاطة القوّة البنية التصوّريّة العامة أو البنى العليا:

البُنى العليا (superstrukturen) ((هي نوع من المخطط المجرد الذي يحدد النظام الكلّي لنص ما، وتتكون من مجموعة من المقولات التي تركز إمكاناتها التأليفية على قواعد عرفيّة)) [٧٦], أي الشّكل الخُطاطيّ الذي يُنظّم المعنى الكُلِّيَّ في النّصّ .

تعدُّ هذه البنية خُطاطات عملية تضم القضايا الكبرى للخطاب وتضم المقولات والقواعد التي يقبلها النظام الثقافي والاجتماعي ويستعملها, فهي بنى تصوّرية عامة تحدد نظرتنا للأشياء من حولنا بحضورها في رموز الثقافة المختلفة وفي سلوكنا , وخطاباتنا العالمة والعاميّة[٧٧]. وقد كانت خُطاطة القوّة في تجلّياتها الحقيقيّة والاستعاريّة في الخطاب القرآني ترجع كلّها إلى تقرير فكرة الإله الواحد الأحد الصمد الفرد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد , له ما في السموات وما في الأرض الغنيّ المطلق . وعجز ما دونه من المسميات الإنسانية الإلهية أو ممن ادعى الإلوهية (نمرود وفرعون) **قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/٧٣-٧٤]**, فالإله المستحق الإلوهية لابدّ أن يكون قوّيا قهارا فوق عباده مقتدرا

على المقدورات كلها , رازقا مدبِّرا قائما بأمور عباده لا يعجزه شيء. أمّا من عجز عن إيجاد أضعف الخلق وعن دفع أضعف المخلوقات لا يمكن أن يوسم بالإلهية [٧٨]. فالقوّة المطلقة لله جميعا قال تعالى :﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة/١٦٥]**, فقد قصد الخطاب القرآني تغيير التصوّرات والمعتقدات والأفكار حول مفهوم الإلوهية والربوبية والتوجه إلى عبادة الإله الواحد الأحد جبّار السموات والأرض بأساليب تواصلية فعَّالة منتوعة حسب المقام والسياق , ممّا جعله ذا قوة تأثيرية تتجاوب مع النفس الإنسانية في أبعادها المختلفة والمتنوعة , فتارة يخاطب فيه العقل ويرشده إلى إعمال الفكر والنظر والتفكر في الخلق واستنباط السنن الكونية, وتارة أخرى يخاطب الروح بأشواقها وتطلعاتها وآمالها وآلامها, ومرة يرشده إلى الاستدلال المنطقي, وأخرى يفتح عينه على البديهيات. ويستعمل أسلوب الترغيب والترهيب, والقصة والمثل؛ مما جعل الخطاب القرآني منظومة تواصلية وقوّة بالغة التأثير[٧٩]. فكانت خُطاطة القوّة كامنة في كلِّ مستويات الخطاب, تبعا لإيدلوجيا الإله الواحد الأحد.

هوامش البحث:

(١) خُطاطة الصورة : استخلاص صورة ذهنية مجردة من حدث ما قد تكرر أكثر من مرة , فهي تمرين المعرفة السابقة والبناء الذهني الذي يسمح بتنظيم المعلومات في الذاكرة طويلة الأمد , فتكون هناك مجموعة من الخُطاطات الذهنية في قوالب صورة للمعرفة المسبقة نحو : خطاطة القوة , خطاطة المسار , خطاطة الربط , وخطاطة التوازن , خطاطة الحاوية ...إلخ . ينظر : دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني : ٩٢.

(٢) ينظر : دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني : ٩١.

(٣) ينظر : نقد العقل المحض : ٦٠ وما بعدها , وكنط وفلسفته النظرية : ٥٥ وما بعدها.

(٤) ينظر : نظريات لسانية عرفنية : ١٦٢, والخيال من الكهف إلى الواقع الافتراضي : ١٦٩.

(٥) ينظر :الفلسفة في الجسد : ٣٥٩, و دراسات نظرية تطبيقية في علم الدلالة العرفاني : ٩١.

(٦) ينظر : المصدر نفسه : ٥٥ , و في اللسانيات العصبية المعالجة العصبية للغة : ٤٤٢وما بعدها.

(٧) ينظر : الفلسفة في الجسد : ١٩١, وجسد الكتابة كتابة الجسد مقاربة سيميائية عرفنية للفضاء في أيام طه حسين , د. حسان راشدي , جامعة سطيف ٢ الجزائر , ع: ١٤, لسنة ٢٠١٣, ص: ١٤٠ -١٤١.

(٨) ينظر : دراسات نظرية تطبيقية في علم الدلالة العرفاني : ١١٢.

(٩) وُلد مارك جونسون سنة ١٩٤٩ بالولايات المتحدة الأميركية , وهو أستاذ الفنون الحرة والعلوم بشعبة الفلسفة بجامعة أوريغون. عُرف بمساهماته في فلسفة التجسد، والعلم المعرفي، واللسانيات المعرفية؛ وشارك لايكوف في تأليف كتاب (الاستعارات التي نحيا بها). قدم نظرية لخُطاطة الصورة، وتُعدُّ هذه الخُطاطة حجر الأساس في اللسانيات المعرفية ومقاربتها للاستعارة التصورية ، وللغة وللتفكير المجرد عامة. ويحفر جونسون عميقاً في بعض مظاهر المعنى المتجسد، ويبين أنَّ الخُطاطات الجسدية في المعرفة واللغة تشير إلى الطرق التي تُبَنْيَنُ كلَّ أبعاد تجربتنا وفهمنا. ينظر: موقع رفيّ لمتعة القراء https://www.raffy.me/author/61991

(١٠) ينظر : البنية , المعنى , الإيديولوجيا البُنى الصغرى والكبرى والعليا في أدب جبران خليل جبران (مقاربة عرفانية) , د. محمد الصالح البو عمراني , تونس , مجلة الخطاب , مج: ١٠, ع: ٢٠ السنة :١/٦/ ٢٠١٥: ٤٥.

(١١) ينظر : المصدر نفسه : ٤٥.

(١٢) ينظر : ما الخطاب وكيف نحلله : ٤٨.

(١٣) ينظر : الخطاب والنص المفهوم – العلاقة – السلطة : ١٧٥, والخطاب السلطوي في نماذج من القران الكريم , عبير الجادري , مجلة آداب الكوفة , مج: ٤٢, ع: ١, السنة : ٢٠٢٠م, ص: ٢٥٢-٢٥٣.

(١٤) ينظر : الخطاب والنص المفهوم – العلاقة – السلطة : ١٩٨.

(١٥) ينظر : مفاتيح الغيب : ٢/ ١٢٨.

(١٦) هي أفعال نتلفّظ بها وتقوم على شكل دلالي إنجازي تأثيري , أو نشاط مادي يعتمد على أفعال قوليّة لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد والوعيد وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض أو القبول, ومن ثم هو فعل تأثيري ؛ أي يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا , والفعل التأثيري (الفعل الناتج عن القول) هو الأثر الذي يحدثه الفعل الانجازي في السامع . ينظر:آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧٠وما بعدها, و مستويات الأفعال الكلامية في الخطاب القرآني سورة الكهف أنموذجا: ٩-١٠.

(١٧) ينظر : البنية , المعنى , الإيديولوجيا البُنى الصغرى والكبرى والعليا في أدب جبران خليل جبران (مقاربة عرفانية) : ٤٦- ٤٧.

(١٨) ينظر : المصدر نفسه .

(١٩) التداولية أصولها واتجاهاتها : ٩٣.

(٢٠) ينظر : مسارات المعرفة والدلالة : ١٤٨- ١٤٩ , والبنية والمعنى في الخطاب الصوفي مقاربة عرفنية ديوان ابن الفارض أنموذجا : تماضر صحراوي , وسليمة بوجلخة , الجمهورية الجزائرية , جامعة الشهيد حمّه لخضر – بالوادي , كلية اللغات والآداب , قسم اللغة والأدب العربي ,السنة الدراسية : ١٤٣٩- ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨- ٢٠١٩ م, ص: ٥٨.

(٢١) ينظر : الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون : ١٤ وما بعدها.

(٢٢) التحرير والتنوير : ٩/ ١٤٠.

(٢٣) ينظر :السيميائية العرفانية الاستعاري والثقافي : ٤٨.

(٢٤) ينظر : الفلسفة في الجسد : ٣٦٥- ٣٦٦.

(٢٥) ينظر : السيميائية العرفانية الاستعاري والثقافي : ٤٨, والبنية والمعنى في الخطاب الصوفي مقاربة عرفنية : ٧٣- ٧٤.

(٢٦) ينظر : الميزان : ١٨/ ٨٣- ٨٤.

(٢٧) ينظر : السيميائية العرفانية الاستعاري والثقافي : ٤٨.

(٢٨) ينظر :الميزان : ١٨/ ١٧٣.

(٢٩)البنية, المعنى,الإيديولوجيا البُنى الصغرى والكبرى والعليا في أدب جبران خليل جبران(مقاربة عرفانية):٥٠.

(٣٠) ينظر : المصدر نفسه :٥٠.

(٣١) ينظر : اللغة والحجاج : ٢٧, والحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام : سعدية لكحل , الجمهورية الجزائرية جامعة مولود معمري تيزي وزو – كلية الآداب واللغات – قسم الأدب العربي – فرع تحليل الخطاب (رسالة ماجستير) : ٨٥.

(٣٢) ينظر : الحجاج : ١٢١- ١٢٢ , والبنية , المعنى , الإيديولوجيا البُنى الصغرى والكبرى والعليا في أدب جبران خليل جبران (مقاربة عرفانية) :٥١.

(٣٣) ينظر : اللغة والحجاج : ٥٨.

(٣٤) ينظر : الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام (رسالة ماجستير) : ٨٥.

(٣٥) الميزان : ٣/ ١٢٠- ١٢١.

(٣٦) ينظر : اللغة والحجاج :٦٢ -٦٣.

(٣٧) ينظر : مسارات المعرفة والدلالة : ١٢٨ وما بعدها.

(٣٨) ينظر : المصدر نفسه : ١٣١.

(٣٩) ينظر :الكشاف : ١/ ٢٥٢, و مفاتيح الغيب : ٢/ ١٨١-١٨٢, و تفسير القران العظيم : ١/ ٢١٦ وما بعدها , إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم : ١/ ٨٢ .

(٤٠) ينظر : التوحيد : ٤٩١- ٤٩٢.

(٤١) ينظر : مقاييس اللغة : ٣/ ٤٣١(طوع).

(٤٢) ينظر : الكشاف: ٢ / ٢٢٤, ومجمع البيان : ٣/٢٦٢- ٢٦٣, ومن وحي القران : ٨/ ١٣٤.

(٤٣) ينظر : مسارات المعرفة والدلالة :١٢٩- ١٣٠.

(٤٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٠ / ١٥٢.

(٤٥) ينظر : روح المعاني : ١١/ ٥١.

(٤٦) ينظر : من وحي القران : ٨/ ٣٦٦- ٣٦٧.

(٤٧) ينظر : مسارات المعرفة والدلالة : ١٢٩.

(٤٨) ينظر : الميزان : ١٢/ ١٥٢.

(٤٩) ينظر : مسارات المعرفة والدلالة : ٢٨.

(٥٠) ينظر : المفردات : ١/ ٤٩(بدع).

(٥١) الكشاف : ٥/ ٤٩٤.

(٥٢) ينظر : مسارات المعرفة والدلالة : ٢٨.

(٥٣) المفردات : ١/ ١٨٩(ختم).

(٥٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢/ ٤٦٧(غشى).

(٥٥) ينظر : مجمع البيان : ١/ ٥٩.

(٥٦) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣/ ١٤٦.

(٥٧) ينظر : مسارات المعرفة والدلالة : ١٣٠.

(٥٨) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣/ ١٠٩.

(٥٩) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٧/ ٤١٦, ومن وحي القران : ٢٢/ ٤٥.

(٦٠) ينظر :الكشاف : ٥/ ٥٩٩, و التبيان في تفسير القران : ٩/ ٣٦٦.

(٦١) الميزان : ١٨/٣٥٠.

(٦٢) ينظر : مسارات المعرفة والدلالة : ٣١.

(٦٣) ينظر :الكشاف :١/ ٤٧٢ , و مجمع البيان : ٢/ ١١٦.

(٦٤) ينظر : العين :٢/ ٤٠٣, والمفردات : ٢/ ٣٧٢ مادة (صفو).

(٦٥) ينظر : من وحي القران : ١٥/ ٢٣.

(٦٦) ينظر : الميزان : ١٤/ ١٨ – ١٩.

(٦٧) ينظر :الكشاف : ٤/ ١٨–١٩, و الميزان : ٤٧/١٤.

(٦٨) التحرير والتنوير : ٩/ ٥.

(٦٩) ينظر : الميزان : ٩/ ٣٣٨.

(٧٠) ينظر: تحليل الخطاب : النظرية والمنهج : ٢٦, والبنية , المعنى , الإيديولوجيا البُنى الصغرى والكبرى والعليا في أدب جبران خليل جبران (مقاربة عرفانية) :٥٠.

(٧١) ينظر: فطريّة التوحيد الدينيّ , الاجتماعيّ نظرية العلاّمة الطباطبائي في نقد الفكر النقدي : ١٣ –١٤.

(٧٢) تفسير المنار : ١٤٧/٤ .

(٧٣) ينظر: في ظلال القران : ١/ ٦١.

(٧٤) التحرير والتنوير : ١٢/ ١٩٢.

(٧٥) تفسير المنار : ٤/ ١٤٢ .

(٧٦) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات : ٢١٢ .

(٧٧) ينظر : البنية , المعنى , الإيديولوجيا البُنى الصغرى والكبرى والعليا في أدب جبران خليل جبران (مقاربة عرفانية) : ٥٥ .

(٧٨) ينظر :عقائد الإسلام من القران الكريم : ١/ ٣٤.

(٧٩) ينظر :جمالية الخطاب في النص القرآني : ٧١.